مَوْسُوعَةُ

فَوَائِدِ القُرآن الزكِيَّة

سُورَةُ الإنفِطَارِ

أ.د خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

موسوعة فوائد

القرآن الزكية

سورة الانفطار

أ. د. خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

فوائد سورة الانفطار

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥ ﴾

اشتملت سورة الانفطار على بيان أهوال يوم القيامة، وإثبات البعث، ووعظ العباد بوجوب الاستعداد لهذا اليوم العظيم. وعدم الغرور بهذه الدنيا ومفاتنها، وبحلم الله تعالى عليهم. وبدأ الله تعالى سورة الانفطار بشأن أهوال يوم القيامة، فقال عَزَّ وجل ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾ إذا السماء تشققت بأمر الله تعالى. لأن الانفطار يعني التشقق. وقد بدأ الله تعالى هذا البيان العظيم بحرف ﴿ إِذَا ﴾ الذي استدعى التشويق لما بعده مما هو متعلق بالنتيجة. وهو ظرف يستدعي مُتعلقاً آخر، لأنه أيضاً شرط، يُؤذن بذكر جواب بعده، فإذا سمعه السامع ترقب ما سيأتي بعده، وهذا الأسلوب بقصد الاهتمام بما أسندت إليه الأفعال التي يغلب أن تكون شروطاً لحرف ﴿ إِذَا ﴾ لأن الابتداء بها أدخل التهويل والتشويق[1] وقد تكرر حرف ﴿ إِذَا ﴾ في هذه السورة أربع مرات.

ثم يعطف سبحانه وتعالى على تَفَطُّر السماء حدثاً عظيماً آخر، من أحداث وأهوال يوم القيامة، فقال عَزَّ وجل ﴿ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾ أي: وإذا النجوم وعموم الكواكب، تباعدت وتساقطت، بما يدل على الاضطراب بدلالة الانتثار، الذي هو التبدد والتفرق بعد اجتماعها وانتظامها. ثم تلاه من أحوال يوم القيامة، قوله تعالى ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ أي: فاضت بتفجرها كما تتفجر العيون. أي: يتداخل بعضها في بعض، فاختلط مالحها بعذبها. قال ابن عباس رضي الله عنهما: فَجَّر اللهُ بعضهم في بعض. وقال قتادة رحمه الله تعالى:

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير (١٢/٤٩٦-٤٩٧)

اختلط عذبها بمالحها[١] وقال الزمخشري رحمه الله تعالى: فُتِح بعضها على بعض، فاختلط العذب بالمالح، وزال البرزخ الذي بينها[٢] بما يفيد فيضانها العظيم الذي جعل بعضها يفيض على بعض.

ثم ينتقل السياق الكريم إلى بيان حال الإنسان في ذلك اليوم العظيم، فقال عَزَّ وجل ﴿ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾ أي: أُثيرت. فَقُلِبت بواطن القبور إلى أعلاها، وأصبح باطنها ظاهرها. ثم يأتي جواب حرف ﴿إِذَا ﴾ الذي اشتاق الْمُخَاطَبون إلى معرفته. فإنه إذا بدأت وظهرت تلك الأمور العظيمة من أحوال وأهوال الساعة ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ ففي هذه المرحلة من أهوال يوم القيامة تعلم وتعرف كل نفس بجميع ما كان من أعمالها التي كانت في الدنيا. ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ ﴾ ما قدمت لآخرتها، وما ستجده أمامها من خير أو شر. وكذلك عرفت الذي أخرته ﴿وَأَخَّرَتْ ﴾ مما تركت من الطاعة، وما كان واجباً عليها. ومن دقائق البيان أن قوله تعالى ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ قد استوفت أوجه متعاضدة في إعطاء وإظهار وبيان أحوال الإنسان مع أعماله ونتائجها التي سيحصل عليها. فقال أهل التأويل: ما قدمت مما عملت. وأما ما أخرت، فهي السُّنَّة يسنها الرجل، فَيُعمَل بها من بعده. وقيل: ما قدمت من الفرائض التي أتتها، وما أخرت من الفرائض التي ضيعتها. وما قدمت من خير، وما أخرت من شر. وقيل: تعلم ما قدمت من طاعة لله تعالى، وما أخرت مما أُمرت به من حق لله عَزَّ وجل عليها لم تعمل به. واختار ابن جرير الطبري معنى: علمت كل نفس ما قدمت لذلك اليوم من عمل صالح ينفعه، وأخرت وراءه من شيء سَنَّهُ فَعُمِل به[٣] مما يبين قوة السياق وغزارته في إعطاء المقصد والمراد من الآية الكريمة ببيان في سياق واحد، من غير تكرار، وهي البلاغة البيانية التي تميز بها القرآن العظيم. وبهذا المطلع الكريم من السورة العظيمة فإن الله تعالى قد حذَّر ووعظ عباده مما هم مقبلون عليه في آخرتهم، فواجبهم لزوم الحذر بالتزام طاعته عَزَّ وجل.

وفي سورة الإنسان ورد قوله تعالى ﴿ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ فهذا اليوم هو اليوم الذي يُخبَرُ فيه الإنسان بما قدم قبل موته من خير أو شر، وما ترك من عمل خير أو شر، ثم عُمِل به بعد موته، سواء كان حقاً أو باطلاً، من خير أو شر. وبأول أعماله وآخرها. وبما قدم من الشر، وما ترك من الخير. وبما قدم من الأعمال الصالحة، وما ترك منها. وما قدم من المعصية، وما ترك من الطاعة. فإن هذا الإنباء جامع شامل

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥١٣/٤)

(٢) الزمخشري، الكشاف (٧١٥/٤)

(٣) ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٧٥/٢٤-١٧٧)

لكل صغيرة وكبيرة. مما قام به الإنسان من خير أو شر، وما تركه من خير أو شر. وقليل أو كثير. فهو استيفاء لكل ما كان من هذا الإنسان وما ترك. وقد ذكر أهل التفسير تلك الدلالات عند تناولهم تفسير هذه الآية الكريمة. مما يبين دقة الإحصاء على هذا الإنسان، حتى يستوفي الجزاء الذي يستحقه من الله سبحانه وتعالى، عدلاً لا ظلم فيه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾

بعد أن ذكر تبارك وتعالى بعض أهوال يوم القيامة، يعظ جَلَّ جلاله المنكرين للبعث، المتطاولين على آيات الله تعالى، فيهددهم فيما هم عليه من الطغيان، فيقول تبارك وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴾ يأيها الإنسان ما هو الذي غرك حتى كفرت بالحق من ربك الذي أكرمك بما أنت فيه من التكريم؟ فهو سؤال يستثير عند المغرور بنفسه، وماله، وولده، وكل دواعي الغرور ما يجعله يفكر ويعيد حساباته وحسبانه من جديد. والغرور كما قال الجرجاني رحمه الله تعالى: هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى[1] فالغرور: هو التوهم الذي يحمل صاحبه نحو الاستعلاء على الحق والصواب. فهو هالة من الوهم بناء على ما في مخيلته من التمكن مما هو فيه، والاستغناء عن الحق الظاهر البائن. وإذا كان هذه حال المغرور مع ربه تبارك وتعالى، فكيف مسلكه ومنهجه مع غيره؟ فإنه أكثر توغلاً في الاستعلاء أمام أنواع الحق.

وبدأ البيان الكريم بمناداة هذا المغرور بياء النداء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ وهذا النداء يحمل في دلالته لفة الانتباه، ووجوب إرعاء السمع، وأخذ الأمر بجد فيما تضمن من توجيه وبيان، بما يفيد أخذه بعزم وأهمية وجدية. وفي مخاطبتهم بأسلوب النداء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ﴾ ما يسترعي أسماعهم، ولفت انتباههم لأمر عظيم جليل، فيستدعي أسلوب النداء الآذان للإصغاء، والعقول للانتباه إلى ما بعده من كلام وخطاب رب العالمين، مما يدل على أهمية ما نادى إليه ربنا تبارك وتعالى من البيان لهذا الإنسان المغرور، وما يجب تجاهه من الأخذ والاهتمام به؛ مع قوة الالتزام.

(١) الجرجاني، التعريفات، ص (١٦١)

وكذلك تضمن تسمية الْمُخَاطَبين بصفة جنس الإنسان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ ﴾ ليشمل جميع أفراد هذا الجنس البشري. يا أيها المخلوق الضعيف، الذي خلقك ربك عَزَّ وجل ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ ما الذي أغراك بربك حتى تثبت على الكفر من الشرك وغيره؟ فبعد هذا النداء الكريم أعقبه السؤال الذي يتطلب منه إعادة التفكير والتبصر فيما هو فيه ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ ما الذي أغراك بربك حتى تثبت على الكفر من الشرك وغيره؟ فقد أثبت السؤال غرور الكافر بما هو فيه من النعمة، مما يعني أن عليه أن يبحث عن تلك الأسباب والعلل والدواعي التي جعلته ينتقل مما يجب عليه من الطاعة إلى الكفر. فما الشيء الذي أغراك حتى تثبت على الكفر، من الشرك وغيره؟ فهو سؤال تعجب من حال هذا الذي يعاند الحجج والبراهين. والله تعالى عالم بحال كل أحد، ولا يحتاج أن يسأل عَزَّ في علاه. ولكن لِيُعَلِّم ويعظ سبحانه وتعالى العباد بما يجب عليهم.

ومن دقائق البيان أن هذا التوجيه الكريم يحمل التنبيه، وإيقاظ المغرور من وجهين: فأولاً: أظهر غرور هذا العبد المربوب من ربه تبارك وتعالى ﴿ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ﴾ إن الشأن هو شأن عظيم. إنك تتعامل مع ربك الذي خلقك ورباك بالنعم. وأنه ربك الذي يخاطبك، وربك الذي قصرت في حقه، والذي يجب ألا يغرك شيء عن طاعته، وعن الامتثال له عَزَّ وجل. فأين أنت من مقام ربك؟ وثانياً: أن الشأن متعلق بصفة ربك ﴿ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ الذي أكرمك بإيجادك بعد العدم، وبما أنعم عليك من كريم الهيئة، والعقل، والحواس، كالسمع والبصر، وغيرها من الحواس الأخرى، وأكرمك بما أنت فيه من الصحة، والقدرة، وأنواع الطعام. وبجميع الإنعام الذي لا يُعَد ولا يُحصَى.

ثم يُفَنِّد تبارك وتعالى شيئاً من عظائم الإنعام. فقال تعالى ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴾ فربك الكريم هو الذي أكرمك بأن خلقك في أحسن تقويم. فقد تضمن البيان العظيم ثلاثة فضائل متعلقة بوجود هذا الإنسان المغرور. فأول ذلك: نعمة الوجود ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَكَ ﴾ المتضمنة لجميع مراحل الخلق، من النطفة إلى ما هو عليه من مراحل العمر المتتالية. والثاني: متعلق بالتسوية ﴿ فَسَوَّىٰكَ ﴾ أي: فصنعك إنساناً في أحسن وأجمل صورة وهيئة، بما مَكَّنَك به من السمع والبصر، والعقل، وغيرها من متطلبات التسوية. والثالث: متعلق باعتدال الهيئة ﴿ فَعَدَلَكَ ﴾ فجعلك معتدلاً، قائماً واقفاً في أحسن صورة وهيئة من الاعتدال في الطول، والاعتدال في العرض، وفي مكونات الجسم، فعدلك في تناسق واعتدال، فليس هناك يَدٌ ولا رِجلٌ أطول ولا أقصر من أختها، ولا عين أعرض، وأخرى بضدها. فبالرغم من أنها ثلاث كلمات، إلا أنها حوت كل شيء يمكن للإنسان أن يفكر فيه من نعمة الخلق. مما يبين أهمية التأمل والتفكر في كل شيء، ومنها خلق الله تعالى

للإنسان. فعلى الإنسان أن يتأمل في نفسه، وفي غيره من المخلوقات، فإن ذلك يجعله يُقر ويعترف بأن الله تعالى عظيم في كرمه، وخلقه، وفي سلطانه، وبالتالي فإنه ليس للعبد إلا أن يطيع ربه ويأتمر بأمره.

ثم يجذب الله تبارك وتعالى هذا الإنسان إلى أمر عظيم، يبين له كمال النعمة عليه. فقال عَزَّ وجل ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ فإن الله تعالى خلقك إنساناً في أحسن تقويم، ولو شاء لخلقك في أي صورة أخرى يريدها ربك بك من الخلق. فدلالة ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ تبين كمال وعظيم مشيئة الله تعالى في الخلق، وأن الإنسان مخلوق بإرادة الله تعالى ومشيئته، وسلطانه، وقد أعطت دلالة ﴿ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ كمال المشيئة لله تعالى. وجمعت معها دلالتها كل تركيب من الهيئات التي خلقها سبحانه وتعالى، فلم يجعلك حيواناً، ولا حشرة، ولا زاحفاً، ولا طائراً، بل أنعم عليك بأن خلقك إنساناً معتدلاً، في أحسن تقويم.

ومن دقائق البيان: تلك العلاقة يبين الابتداء من الله تعالى في الخطاب بجنس الإنسان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ وبين ﴿ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ الذي هو لفت الانتباه لهذه الصورة للإنسان التي هي في أحسن تقويم، وأنه لو شاء ربك لركبك على غير ما أنت عليه، فاحمد الله ربك، واشكره، وامتثل له بكمال الطاعة والخلوص من الشرك. مما يبين عظمة البيان من كل وجه التفت إليه الإنسان ونظر فيه، ليدرك أن هذا القرآن العظيم هو كتاب الله تعالى، وأن مواعظه ودروسه أعظم المواعظ والدروس، وأن واجب الإنسان أن ينحني لربه الكريم سبحانه وتعالى، بكمال الطاعة والامتثال والحمد والشكر.

ومن مزيد الفوائد أن ورد في معناها أربعة دلالات، وقد استوعبها البيان جميعها من غير تضاد. فالقول الأول هو: في أي صورة من صور القرابات ركبك، أي: الأقرباء. والقول الثاني: في أي صورة من الْحُسن، أو الْقُبح، بأن يكون طويلاً، أو قصيراً. والثالث: وإن شاء ركبك في غير صورة الإنسان، كهيئة القرد، ونحوه. والقول الرابع: إن شاء في صورة إنسان بأفعال الخير. وإن شاء في صورة حمار بالبلادة، أو كلب في البخل[١] فاستوعبت دلالتها أحوالاً مختلفة، تشد الانتباه نحو التأمل والتفكر. وتبين عظيم مشيئة الله تعالى، وتؤكد وتبين أن هذا الإنسان هو عبد لله تعالى، وأن واجبه الحمد والشكر لربه عَزَّ وجل، على نعمة إنسانيته، وما تفضل ربه به عليه من جميع الإنعام، فإن واجبه طاعة ربه، والامتثال لرسوله صلى الله عليه وسلم.

ثم ينفي سبحانه وتعالى صحة وصواب ما كان من غرور هذا الإنسان، فإنه على باطل، وليس على أي شيء من الحق، ليقرر به جُرم تكذيبهم بالدين. فقال عَزَّ وجل ﴿ كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴾ كلا، ليس

---

(١) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (١٩٧/٨-١٩٨)

الأمر حقاً فيما أنتم عليه، بل إنما يحملكم غروركم على التكذيب بدين الله تعالى. بما يفيد الزجر والردع عن الغرور الذي أدى بهم إلى التكذيب بدين الله عَزَّ وجل. وقد استهل التوجيه الكريم هذا الزجر والوعظ بدلالة ﴿ كَلَّا ﴾ التي أفادت الزجر والردع عن الغرور الذي أدى بهم إلى التكذيب بدين الله عَزَّ وجل. فليس هناك ما يجعلكم في غرور يمنعكم عن الدخول في دين ربكم سبحانه وتعالى.

فيقرر عَزَّ وجل بأن كفرهم كان إصراراً منهم على الكفر بالدين ﴿ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴾ فأنتم في جرأة من شأن ما أنتم عليه من التكذيب بالدين الذي ثبت لكم أنه دين الله تعالى، واستقر ذلك في نفوسكم، ولكنكم اخترتم الكذب بالدين على الإيمان والتصديق، لما كان في نفوسهم من الهوى الذي آثروه على الطاعة والاتباع.

ثم يقرر لهم سبحانه وتعالى بأن عليهم رقباء من الملائكة. فقال تعالى ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾ فإن عليكم ملائكة كرام، يحفظون عليكم أعمالكم. وقد ابتدأ تقرير ذلك بحرف التوكيد ﴿ وَإِنَّ ﴾ مع التعيين لهم ﴿ عَلَيْكُمْ ﴾ ثم لام الابتداء المتصدر للحافظين ﴿ لَحَافِظِينَ ﴾ الذين هم الملائكة الكرام. ثم ازداد الوصف لهؤلاء الملائكة، فقال تعالى ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ فإنهم مُتَّصِفين بصفتين عظيمتين: الأولى: أنهم ﴿ كِرَامًا ﴾ أي: كراماً على ربهم، فإنهم مكرمين، ومحل حفاوة وتكريم. والصفة الثانية: ﴿ كَاتِبِينَ ﴾ يكتبون أعمالكم. بما يفيد دقة الإحصاء. وكذلك من صفاتهم أنهم ﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ فلا يخفى شيء أبداً عليهم من أعمالكم. فإنهم يعلمون كل شيء. ففيه إثبات العلم، ونفي أن يفوت عليهم شيء من تصرفاتكم. بما يفيد أن عليكم والحال هذه أن تخافوا الله ربكم سبحانه وتعالى، وأن تستحوا من الملائكة الكرام، وأن تراقبوا وتضبطوا أعمالكم. وأن هذا التسجيل لأعمالكم يعني ويفيد محاسبتكم عليه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. مما يبين عظيم قدرة الله تعالى، وعدله في الحساب والجزاء.

﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩) ﴾

وبعد بيان الله تعالى لتكريمه وكرمه على هذا الإنسان، وأن عليه حفظة من الملائكة يكتبون ما يفعلون، ينتقل البيان إلى وصف أهل الطاعة من الناس، ثم أهل المعصية. فقال اللهُ تبارك وتعالى عن أهل طاعته ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ إن الأبرار الذين هم أهل الصدق والإيمان والإخلاص والطاعة لله تعالى ﴿ لَفِي

﴿نَعِيمٍ﴾ أي: أنهم يتنعمون في نعيم الجنان، المليئة بالبساتين والأنهار، وحور العين، وما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين. وسماهم سبحانه وتعالى بالأبرار، من البر الذي يفيد الصدق والاتباع، والْمُعَبِّرَة عن الإخلاص في الطاعة. فإن هؤلاء الأبرار في نعيم مقيم.

ثم يخبر تبارك وتعالى عن أهل المعصية، الذين هم أهل الكفر والشرك، فقال تعالى ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ وإن الذين كفروا بربهم ﴿لَفِى جَحِيمٍ﴾ أي: في النار التي أوقدت وأضرمت للكفار. وسماهم الله تعالى بالفجار لخروجهم عن الحق، فإن قلوبهم قد خَلَت من الإيمان والخوف من الله تعالى، فأصبح الفجور القلبي والفجور العملي مسلكهم. فالفجور هو الفسق، بالخروج عن الفطرة والدين، وعن الدلائل العقلية، وعن الأحكام الشرعية. ومنه انفجار الماء، بما يعني خروج السلوك والتصرفات عن الحق، وعما يجب أن يكون عليه الإنسان.

ثم يخبر تبارك وتعالى بموعد دخول جهنم، فقال عَزَّ وجل ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ أي: يدخلون الجحيم ﴿يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ أي: يوم القيامة. وقد ورد عذاب الجحيم بدلالة ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ التي أفادت أنهم يقاسون شدة حرها. والتي تكشف شدة وقوة معاناتهم فيها ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ فإنهم يُقَاسُون شدة لظاها وسعيرها بدخولهم فيها، كما يفيد معنى الصلي: الشواء بالنار، فيشتوون فيها مثل ما تُشوى اللحمة على النار، مع الفارق بين نار الدنيا ونار جهنم. فهو تصوير دقيق لدار قرار الكافرين.

ثم يخبر تبارك وتعالى عن شدة عذابها، بأنه عذاب لا ينقطع. فقال تعالى ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ أي: لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة، ولا يُخفف عنهم من عذابها، ولا يُجابون لما يسألون من الموت أو الراحة، ولو يوماً واحداً[١] لإفادة الثبات المستمر في العذاب الذي لا ينقطع. اللهم أجرنا والمسلمين من النار.

ثم يختم الله تبارك وتعالى سورة الانفطار بِتَعظِم وتهويل يوم القيامة، الذي هو يوم الحساب والجزاء، وذلك بتكرار البيان عنه بأسلوب التهويل والتعظيم، فقال الله سبحانه وتعالى ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ ثم قال تعالى مكرراً لهذا اليوم العظيم ﴿ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ الذي هو يوم القيامة. فهو استفهام تقريري، يقرر به تبارك وتعالى أهوال ذلك اليوم الذي ورد في مطلع هذه السورة، وفي كثير من سور القرآن العظيم. ثم يفسره بمزيد من التهويل له، فقال الله تعالى ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٤/٥١٥)

﴿لِلَّهِ﴾ إن هذا اليوم من شدته وأهواله وهيبته فإنه يمتنع به كل أحد من أن يُقَدِّم لأحد نفعاً من أحبائه ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ فكل أحد ينتظر ما يكون له من الله تعالى.

ثم يقرر جَلَّ جلاله أن الأمر مقصور فقط عليه عَزَّ وجل ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ فليس لغير الله تعالى الأمر والشأن، فكل أحد يوم القيامة مُنصتٌ مُتأهب لمصيره. فهو عَزَّ وجل الذي يحاسب العباد، ويفصل بين الظالم والمظلوم، ويجازي من يشاء بما يشاء، ويعفو عمن يشاء من المؤمنين فضلاً وتكرماً. مما يفيد وجوب الاتعاظ مما وعظ الله تعالى به، والتحرز من ذلك اليوم بطاعته سبحانه وتعالى، والامتثال لما جاء به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

وأحمد الله تعالى وأشكره على ما أنعم به عليَّ من شرف هذا العمل، فوفقني على إتمام سورة الانفطار. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتُب علينا إنك أنت التواب الرحيم. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله أجمعين.